

تبعات انتفاضة العراق على دول الخليج

ظافر محمد العجمي



الأربعاء 9 أكتوبر 2019 06:42 ص

تبعات انتفاضة العراق على دول الخليج

لم يواكب مجلس التعاون تعاطف شعوب الخليج مع انتفاضة شعب العراق رغم أننا الأقرب.
صمت خليجي رسمي غير مبرر في بداية انتفاضة العراق رغم طلب حكوماتنا من رعاياها مغادرة العراق!
الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمنظمات الحقوقية استنكرت ما يجري وصمتت دول الخليج.

* * *

صوت تفجّر في قرارة نفسي الثكلي: عراق

كالد يصعد، كالسحابة، كالدموع إلى العيون

الريح تصرخ بي: عراق

والموج يعول بي: عراق

عراق، ليس سوى عراق

هذه أبيات من قصيدة «غريب على الخليج» لبدر شاكر السياب، قالها في الكويت حيث تُوفي لاحقاً بمستشفى الصباح 1964. وفي مطلع الانتفاضة الشعبية الحالية في العراق، غرّد خليجي بهذه الأبيات في «تويتتر»؛ فرد عليه مغرّد عراقي:

«عراق» وليست عراق

فالعراق لا تُكسر عينه

ولا نعلم إن كان التقاط مثل هذه «القرصات» يشكّل صورة الشاعر بين الخليجيين والعراق بصورة عامة! كلا بالطبع، ليست هذه هي الشاعر بين الإخوة، لكنها ملاحظة ليست فارغة من المضامين؛ فهي على الأقل تُظهر قدر العشم العراقي في الخليجيين، مع اعتزاز عراقي لا يمكن تجاوزه..

لكن لماذا يلومنا إخواننا في العراق وكأننا من قاد الأمور إلى هذا المنحى البائس؟! فلسنا من احتل بعسكره وتابعيه وزواره وحجابه وتومانه شوارع البصرة وبغداد فأفسدها بدرجة جعلت الفساد مثيراً للغيرة لا للنقمة.

وحين تجاوز الجرحى 6000 جريح، وتجاوز من قتله الأمن 120 شهيداً، وتجاوز عدد المعتقلين الألف، وشاهدنا جيش العراق لا يدافع عن شباب العراق، أدركنا خطورة ما يجري، فالأمور ليست في نصابها، وقد تغلت من عقالها؛ فيصل الخليج شرر نيرانها!

واجهت الحكومة المتظاهرين بقنابل صوتية ودخانية وخرائط مياه وطلقات حية تكفي لتحرير الموصل، وتمت عسكرة الشارع العراقي وقمع المنتفضين. وبطش الحكومة هذا يُظهر أنها ليست في وارد الحل، بل القمع والاحتفاظ بالسلطة حتى لو بثمن غالٍ.

ولا نستبعد تصدير الأزمة للخروج منها، وهو نهج مستمد من إرث الحكومات السابقة، باتهام الجوار بإشعالها، ثم اختلاق أزمة معهم لتشكّل اصطفايات غير واعية تُذيب زخم الانتفاضة. وقد بدأت هذه الخطوة جهات حزبية تتهم دولاً خليجية بتأجيج الشارع.

تذكرنا الأحداث الراهنة بالانتفاضة الشعبانية 1991م، ومظاهر الاضطراب في مناطق الجنوب منذ 3 مارس لمدة شهر، قبل أن قمعها بعد سماح الأميركيين له باستخدام طائرات الهليكوبتر، وهي السلاح الذي مهر في استخدامه طوال حربه مع إيران لمدة 8 سنوات، وكان من تبعاتها نزوح 83 ألف لاجئ عراقي إلى حدود الكويت وتشكّل أكبر تجمّع للبؤس البشري؛ فبدون الماء والطعام كان يموت 13 طفلاً يومياً.

هذا المشهد قد يتكرر على حدود الكويت والسعودية، فالقمع واحد والهروب منه في اتجاه واحد. ترى حكومة المنطقة الخضراء أن المظاهرات يجب أن ترخّص بإذن وتحدّد فيه بدايتها ومدتها والمطالب التي لمنظمتها والشعارات التي ستُرفع.

ولأن وسائل التواصل الاجتماعي قبل قطعها قد هزمت قنوات الحكومة وأبواق الأحزاب، وأظهرت هشاشتها، فلا بدّ أن تبحث المنطقة الخضراء عن ذريعة حرب؛ فأخذت في تسويق أن المظاهرات تُقاد من الخارج عبر «تويتر»، ولم ترسل من إيران بل من الجوار الخليجي. ولعلّ في تصريح فالح الفياض - رئيس ومستشار الأمن الوطني العراقي ورئيس هيئة الحشد الشعبي سابقاً- ما يشير إلى هذا الإدراك.

الصمت الخليجي الرسمي في بداية انتفاضة العراق غير مبرّر؛ فقد أقرّت حكوماتنا بالقلق حين طلبت من رعاياها مغادرة العراق؛ بل إن الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية والمنظمات الحقوقية استنكرت ما يجري.

فيما لم تواكب الأمانة العامة لمجلس التعاون تعاطف شعوب الخليج مع انتفاضة شعب العراق، رغم أننا الأقرب، ويجب أن يكون لنا رأي في كل حدث إقليمي يناسب الدور الخليجي القيادي الجديد.

* د. ظافر محمد العجمي المدير التنفيذي لجموعة مراقبة الخليج